

## الملتقى الوطني حول

أعلام ومعالم وادي سوف في التصوف - التاريخ - الثقافة بين القرنين 17 و20م

يومي 06 فيفري 2019

المنظم من قبل قسم العلوم الإنسانية - جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي  
والجمعية الولائية سوف ثقافة

عنوان المداخلة

"التصوف ودوره في التنمية الروحية والتفاعل الإيجابي لروح العصر  
-التصوف في وادي سوف انموذجا-

من إعداد:

السعيد مسعي محمد (طالب دكتوراه)

أ- د عبد الرحمان تركي-مشرفاً

## الملخص باللغة العربية

يعد التصوف الإسلامي ثالث أركان الإسلام وهو مقام الإحسان، وباعتبار التصوف حركة إسلامية روحية فقد اتسم بمميزات عدة أفردته عن بقية الحركات الأخرى، وذلك باحتوائه منهج شامل يواكب فلسفة الحياة المادية والروحية عبر ممر الزمان والمكان، كما يزخر بقيم اجتماعية نبيلة انضوت به سبل الحياة واستنارت به عقول الأفراد، ولا يزال الإسلام برجاله يرمي بمضامينه على التحلي بالقيم الإيمانية والريانية المستوصي بها في نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة للعمل في منحنيات ومجالات الحياة، كما جاء التصوف خدمة للتنمية الروحية للفرد ليسمو ويرقى بذاته ضمن الركب الحضاري وفق قواعد قرآنية وأسس انتهجها صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه ليواكبوا مجرى سنة الله عزَّ وجلَّ في تطوير الحياة الإنسانية علماً وعملاً، أدباً وثقافة.

## Summary

Islamic Sufism constitutes the third pillar of Islam, representing the station of spiritual excellence. As an Islamic spiritual movement, Sufism possesses several distinguishing features that set it apart from other movements. It encompasses a comprehensive approach that addresses both material and spiritual aspects of life across time and space. It is enriched with noble social values that have guided ways of life and enlightened minds. Islam, through its scholars, continues to impart its teachings, emphasizing faith-based and divine values as prescribed in the Holy Quran and the purified Sunnah, to guide actions across various spheres of life. Sufism emerged as a service for individual spiritual development, enabling individuals to ascend within the cultural procession, in accordance with Quranic principles and the practices adopted by Prophet Muhammad (peace be upon him) and his companions. They aimed to follow the divine course in advancing human life through knowledge, action, literature, and culture.

## العنوان: التصوف ودوره في التنمية الروحية والتفاعل الإيجابي لروح العصر

- التصوف في وادي سوف أنموذجاً -

### المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله واجب الوجود ثم الصلاة والسلام على النور المبين سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله وصحابه الغر المحجلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد: يعد التصوف الإسلامي ثالث أركان الإسلام وهو مقام الإحسان، وباعتبار التصوف حركة إسلامية روحية فقد اتسم بمميزات عدة أفردته عن بقية الحركات الأخرى، وذلك باحتوائه منهج شامل يواكب فلسفة الحياة المادية والروحية عبر ممر الزمان والمكان، كما يزخر بقيم اجتماعية نبيلة انضوت به سبل الحياة واستنارت به عقول الأفراد، ولا يزال الإسلام برجاله يرمي بمضامينه على التحلي بالقيم الإيمانية والريانية المستوصي بها في نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة للعمل في منحنيات ومجالات الحياة.

جاء التصوف خدمة للتنمية الروحية للفرد ليسمو ويرقى بذاته ضمن الركب الحضاري وفق قواعد قرآنية وأسس انتهجها ﷺ لأصحابه ليواكبوا مجرى سنة الله عزَّ وجلَّ في تطوير الحياة الإنسانية علماً وعملاً، أدباً وثقافة، كما جاء التصوف يحث على التعايش والتآلف الاجتماعي بين الأفراد والجماعات والأمم والشعوب من أجل الوصول إلى أرقى منازل العلم والعمل، وقد أتى هذا الملتقى فرصة لإبراز معالم القيم الدينية والروحية للتصوف ومبادئه النبيلة وما يحمله في طياته من خير لهذه الأمة وهدايتها من حيرتها وما دفعته من ضريبة الحضارة الغربية الغاشمة، وما تعانیه من مظاهر العنف والظلم الاجتماعي بمختلف أشكاله وتنوعه.

### الإشكالية :

لقد تعددت مفاهيم التصوف والتنمية الروحية وتعريفاتهم باختلاف المجتمعات والبيئات، وما توارثته من أعراف الناس وتقاليدهم، والسؤال الذي يطرح نفسه في خضم هذه التناقضات: ما هو مفهوم التصوف والتنمية الروحية؟ ما هي أبرز قيم التصوف للتآلف والتعايش الاجتماعي؟ وأين يتمثل أثره في استجابة الخطاب الصوفي؟ ما هي مظاهر التنمية الحديثة للتصوف في وادي سوف؟ هذا وغيرها من الأسئلة والتي سأجيب عليها من خلال مداخلة المعنونة ب: "التصوف ودوره في التنمية الروحية والتفاعل الإيجابي لروح

العصر"، وقد انتهجت خطة كفيلة بالإجابة عن هذه الأسئلة التالية متمثلة في النقاط التالية:

- ❖ المبحث الأول: ماهية فقه التصوف والتنمية الروحية.
  - المطلب الأول: مفهوم التصوف والتنمية الروحية لغة واصطلاحاً.
  - المطلب الثاني: أهمية التصوف في ضوء التحديات المعاصرة.
  - المطلب الثالث: مسألة التصوف بين الفكر الأيديولوجي والفهم العقلي.
  - ❖ المبحث الثاني: واقع التصوف وجهوده في التنمية الروحية.
  - المطلب الأول: دلالة التنمية الروحية في الخطاب الصوفي ضمن الشريعة والأثر.
  - المطلب الثاني: واقع التصوف بوادي سوف وأبعاده الاجتماعية في ضوء الكتاب والسنة.
  - المطلب الثالث: قيم التصوف في ترسيخ مبدأ التعايش الاجتماعي ومظاهر التنمية الصوفية الحضرية.
  - المطلب الرابع: مأمول الخطاب الصوفي وأبعاده ومقاصده في التنمية الروحية.
  - ❖ الخاتمة. نسأل الله العظيم حسنها.
- المبحث الأول: ماهية التصوف والتنمية الروحية والتعايش الاجتماعي.

## 1- مفهوم التصوف:

أ- لغة:

وجاء في المعجم المنجد في اللغة والأعلام: "صَوَّفَ (ه): جعله صوفياً. تصَوَّفَ: صار صُوفِيًّا، تَخَلَّقَ بأخلاق الصُوفِيَّةِ، الصُوفِيَّةُ فئة من المتعبِّدين، واحدهم الصُوفِيّ وهو عندهم مَنْ كان فائياً بنفسه باقياً بالله تعالى مستخلصاً من الطبائع متصللاً بحقيقة الحقائق"<sup>(1)</sup>.

ب- اصطلاحاً:

لقد تضاربت المفاهيم حول مصطلح التصوف من باحث لآخر ومن هذه التعريفات: قال سهل بن عبد الله التستري: "الصوفي من صفى من الكدر، وامتأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر."<sup>(2)</sup>

وقال أبو الحسين النوري: "التصوف ترك كل حظ للنفس."<sup>(3)</sup>

1 - مجموعة من المؤلفين: المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ط: 43؛ د.ت، ص 441.

2- أحمد بن محمد بناني: موقف الإمام بن تيمية من التصوف والصوفية، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط: 3؛ 1426هـ/2005م، ص 73.

3- الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، مكتبة الخانجي، ط: 2، 1415هـ/1994م، ص 9.

ويعرفه ابن عجيبة عن التصوف: "وهو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك، أو تصفية البواطن من الرذائل، وتحليلتها بأنواع الفضائل، فأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة"<sup>(1)</sup>.

ويعرفه الشيخ أحمد التجاني بقوله: "التصوف امتثال الأمر واجتناب النهي في الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى."<sup>(2)</sup>

قال ابن خلدون: "هذا العلم من العلوم الشرعيّة الحادثة في الملة وأصله أنّ طريقة هؤلاء القوم لم تنزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحقّ والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدّنيا وزينتها، والرّهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وكان ذلك عامّاً في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدّنيا في القرن الثّاني وما بعده وجنح النّاس إلى مخالطة الدّنيا اختصّ المقبولون على العبادة باسم الصّوفيّة والمتصوّفة."<sup>(3)</sup>

## ● تعريف التعايش:

### 1- لغة:

جاء في المعجم الوسيط أن لفظ التعايش من : (تعاشوا) عاشوا على الألفة والمودة<sup>(4)</sup>.

والتعايش من العيش، قال ابن منظور: العَيْشُ الحَيَاةُ، عاشَ يَعِيشُ عَيْشاً وَعَيْشَةً وَمَعِيشاً وَمَعَاشاً، وَعَايَشَهُ عاشَ مَعَهُ<sup>(5)</sup>.

---

1- عبد الله أحمد بن عجيبة: معراج النشوف إلى حقائق التصوف، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيّالي، مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء، ص26، 25.

2- علي حراز بن علي بريدة: جواهر المعاني وبلوغ الأماني، المطبعة العصرية، بيروت، ط:1؛ 2004م، ص194.

3- عبد الرحمن بن خلدون(ت808هـ): تاريخ ابن خلدون، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس تحليل شحادة، مراجعة سهيل زكار دار الفكر، بيروت، ط:1421هـ/2001م، ج1، ص611.

4- نخبة من العلماء: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية، ط:4؛ 2004م، ص639.

5- محمد بن أكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، ج6، ص321.

## 2/- اصطلاحاً:

لقد تضاربت التعاريف حول مصطلح التعايش من باحث لآخر، فقول: "إن مصطلح التعايش يعني قيام تعاون بين دول العالم على أساس التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والتجارية، كما يعني اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش بينهما على وفق قاعدة يحددها مع تمهيد السبل المؤدية لها."<sup>(1)</sup>

إضافة إلى ذلك أن التعايش يعني: "القبول بوجود الآخر والعيش معه جنباً إلى جنب من دون سعي لإلغائه أو الإضرار به سواء أكان ذلك الآخر فرداً أم حزياً سياسياً أم طائفة دينية، أم دولة مجاورة."<sup>(2)</sup>

ومنه فالتعايش الاجتماعي أو "التعايش السلمي هو العيش المشترك بين الشعوب والحضارات في جوٍّ من التفاهم والتعاون والتضامن والتسامح وتبادل المنافع والمصالح بعيداً عن الصراعات والنزاعات والعنف والاضطهاد؛ حتى يسود الأمن والسلام."<sup>(3)</sup>

التنمية الروحية هي الركيزة الأولى للتنمية البشرية وأساسها<sup>(4)</sup>

### ● تعريف التنمية الروحية

#### أ- لغة:

جاء لفظ تنمية من الفعل نَمَى ينمّي، نَمًّا، تنميةً، فهو مُنمِّمٌ، والمفعول مُنمّيٌّ، نَمَّى إنتاجه: زاده وكثره، رفع معدّله. نَمَّى ذاكرته: أَنْعَشَهَا وَقَوَّاهَا "التَّمارين البدنيّة تُنمّي الجسم"<sup>(5)</sup>.

ومن خلال التعريف اللغوي يضح لنا أن دلالة التنمية تعني الرفعة والزيادة والتطور.

1- خالد عبد الإله عبد الستار: الأسس الفكرية لثقافة التعايش السلمي في المجتمعات، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الثاني - الثالث، 2016م، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ص312.

2- المرجع نفسه، ص313.

3- رشيد كهوس: التعايش السلمي بين الشعوب والأديان "دراسة تطبيقية من خلال السيرة النبوية"، مجلة أصول الدين ص114.

4- انظر/ موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، تاريخ التصفح: 2019/01/21، رابط الموضوع <http://www.habous.gov.ma>

5- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط:1؛ 1429هـ/2008م، ج2، ص1600.

## ب/- اصطلاحا:

لقد تعدد مفهوم التنمية البشرية وتضارب من كاتب لآخر وهذا حسب مقتضى متغيرات الظروف الزماني والمكاني، وعليه فالتنمية في الاصطلاح العام هي: " عبارة عن التغيير الإرادي الذي يحدث في المجتمع سواءً اجتماعياً، أم اقتصادياً، أم سياسياً، بحيث ينتقل من خلاله من الوضع الحالي الذي هو عليه إلى الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه، بهدف تطوير وتحسين أحوال الناس من خلال استغلال جميع الموارد والطاقات المتاحة حتى تستغل في مكانها الصحيح، ويعتمد هذا التغيير بشكل أساسي على مشاركة أفراد المجتمع نفسه." (1)

كما أن موضوع التنمية ليس مقتصرة على تنمية الجوانب المادية الحسية من اقتصاد واجتماع وسياسة وثقافة فحسب بل تشمل بذاته كل ما له علاقة بالتطور الذاتي كتركيب النفس وتنميتها بالأخلاق الحميدة والقيم وتطوير صفاتها النبيلة لتعطي صورة معبرة بمدلولها على مدى رقيها بالجانب الروحي، لذا كانت التنمية الإيمانية هي العمل على تطوير سلوك الفرد وتهذيب نفسه والرقى به في أعلى مراتب العلم والعمل.

### ● المطلب الثاني: أهمية التصوف في ضوء التحديات المعاصرة.

يعد التصوف الإسلامي أحد ركائز الإسلام ودعامته في تهذيب النفس وتحليلتها بالقيم الإيمانية لتغذية الروح بمشارب فضائل القرآن في الأمر والنهي، وهو أحد الأدوات الأخلاقية التي أرسى بها الله تعالى معالم حفظ الروح أو النفس البشرية وتنميتها في زمن طغت فيه الشهوات وتكاثر فيه المغريات وتزايدت فيه الفتن، لذا جاء التصوف بقوانينه القرآنية لإقامة النفس وضبطها بالوازع الأخلاقي والرادع الديني.

حقيقة التصوف لم تكن عبثاً منشوراً كما يزعم بذلك أعداء الإسلام وأعدائهم التشدد والتطرف الديني، لكنه علم يهتم بتركيب النفس وتطهيرها من كافة الأدناس والشوائب ونلتمس دلالة ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَسَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۗ ﴾ (2)، وقال تعالى:

1- سناء الدويكات: مفهوم التنمية لغة واصطلاحاً، موقع موضوع، تاريخ الإضافة 2016/12/28، التصفح: 2019/01/22،

رابط الموضوع: <https://mawdoo3.com>

2- سورة الكهف الآية 28.

﴿ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّيكَ ﴾<sup>(1)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْتَهَا ﴾ فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾<sup>(2)</sup>، ومن السنة يتضح لنا دلالة التصوف في عدة مواضع، ولعل حديث جبريل الطويل دليل كافٍ على دلالة التصوف، فبعد أن سأله عن الإسلام والإيمان فقد سأله عن الإحسان، قَالَ: مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»<sup>(3)</sup>، وضمن انطلق رجال التصوف في بناء حركة الحياة.

إن المتصفح في طي سجل تاريخ التصوف يجد أنه لم يكن وليد اللحظة ولا ظاهرة أيديولوجية كما يدعيه بعض النقاد، وإنما هو صبغة روحية إيمانية مستوحى نصه من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، واثميننا لذلك يقول عبد القادر عيسى: "التصوف ليس أمراً مستحدثاً جديداً؛ ولكنه مأخوذاً من سيرة الرسول ﷺ وحياة الصحابة الكرام، كما أنه ليس مستقى من أصول لا تمت إلى الإسلام بصلة، كما يزعم أعداء الإسلام من المستشرقين وتلامذتهم الذين ابتدعوا أسماءً مبتكرة، فأطلقوا اسم التصوف على الرهينة البوذية، والكهانة النصرانية، والشعوذة الهندية فقالوا: هناك تصوف بوذي وهندي ونصراني وفارسي...".

يريدون بذلك تشويه اسم التصوف من جهة، واتهام التصوف بأنه رجع في نشأته إلى هذه الأصول القديمة والفلسفات الضالة من جهة أخرى، ولكن الإنسان لا ينساق بتياراتهم الفكرية، ولا يقع بأحاييلهم الماكرة، ويتبين الأمور، ويتثبت في البحث عن الحقيقة، فيرى أن التصوف هو التطبيق العملي للإسلام، وأنه ليس هناك إلا التصوف الإسلامي فحسب<sup>(4)</sup>.

لقد أضحى التصوف اليوم منهج حياة وقانوناً ضرورياً لتحقيق التوازن في الحياة، وطريقة معبدة للانسجام مع فطرية الوجود وبساطته، ومنهاجا محتما لتسديد القيم والسلوك، وشرعية غضة تستطيع برسالتها أن توجد الحلول الناجعة للمشاكل التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية، وترزح تحت وطأتها فئات من المهوسين بحمى الحياة المعاصرة، وتعيش من وراء حجابها فئات من المضطربين والحيارى الذين فقدوا تفسيراً واضحاً لحقيقة وجودهم، ومعنى

1- سورة عبس الآية 3.

2- سورة الشمس الآية 7-10.

3- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بَابُ سُؤَالِ جَبْرِيلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، وَالْإِحْسَانِ، وَعَلِمَ السَّاعَةَ، دار بن كثير، دمشق، ط: 1؛ 1423هـ/2002م، رقم الحديث: 50، ص 23.

4- عبد القادر عيسى: حقائق عن التصوف، ص 27.



حياتهم، لذا كان التصوف بهذا الاعتبار والتقدير، سفينة النجاة التي تمخر عباب الأمواج العاتية للحياة المادية الفاقدة للروح والغاية، والمحطة التي تزود الإنسان بطاقة روحية ووجدانية تفيده في تحرير نفسه من سلطان الهوى، وريقة الشهوة، وأغلال النزوة<sup>(1)</sup>.

رغم عناية الإنسان بنظافته الخارجية للتعبير عن قيمته ومكانتها، غير أن التصوف يهتم بالطهارة الباطنية للفرد لتعميم دائرة التزكية الروحية والإيمانية لذاته، وتثميننا لذلك يقول أحمد بن محمد الطحطاوي: "لا تنفع الطهارة الظاهرة إلا مع الطهارة الباطنة وبالإخلاص والنزاهة عن الغل والغش والحقد والحسد وتطهير القلب عما ينسى الله من الكونين فيعبده لذاته لا لعله مفتقرا إليه وهو يتفضل بالمن بقضاء حوائجه المضطر إليها عطفًا عليه فتكون عبدا فردا للمالك الأحد الفرد لا يسترقك شيء من الأشياء سواه ولا يستملك هواك عن خدمتك إياه"<sup>(2)</sup>.

ومنه فالتصوف ظاهرة دينية تستوعب كافة الشرائح الاجتماعية لتسلك بهم مسلك الهدى والرشاد لرحمتهم عن المهلكات وسد ذريعة الفساد في وجوههم للفوز برضى الله تعالى والسعادة في الدنيا والآخرة.

#### ● المطلب الثالث: مسألة التصوف بين الفكر الأيديولوجي والفهم العقلي.

أخذ موضوع التصوف في الآونة الأخيرة سلسلة من الأحداث والمتغيرات العلمية وجملة من التأويلات في فهم حقيقة التصوف ومصادره، فمنهم من نظر إلى علم التصوف على أنه ظاهر اجتماعية ودينية ونفسية، غير أن البعض الآخر يرى أن التصوف أنه دلالة روحانية الإسلام والقرآن تتجلى في سلوك النفس البشرية ومظاهر الحياة الإسلامية.

وعلى غرار هذه الوجهة جاء التصوف بين مرجعين اثنين، فأخذ صنف المرجع الأول من المستشرقين والغلاة في الدين يرجعون أصل التصوف إلى مصادر مسيحية غربية، وفهموا على وجه مغلوط أن التصوف عبارة عن اختراع طرق عبادات جديدة في الإسلام<sup>(3)</sup>، وأخذوا

1 - انظر/ إبراهيم الوراق: أهمية التصوف، الحوار المتمدن، تاريخ الإضافة: 2006/11/8م، تاريخ التصفح: 2019/01/23م، رابط الموضوع: <http://www.m.ahewar.org>

2 - أحمد بن محمد الطحطاوي(1231هـ): حاشية الطحطاوي على مراقبي الفلاح شرح نور الإيضاح للشرنبلالي، ضبطه وصححه عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص110،111.

3- سيّد نور بن سيّد علي: التصوف الشرعي الذي يجهله كثير من مدّعيه ومنتقديه، دار الكتب العلمية، بيروت، ص4.

يؤولون فلسفة الحياة الروحية للتصوف بمبادئ وضعية وغير شرعية ما أنزل الله بها من سلطان، ويلفقون له أشكال واتجاهات كي يثبت أن التصوف من مصادر غربية وذهب أصحاب الصنف الثاني من العلماء المسلمين وأرباب التزكية الروحية إلى أن أصل التصوف يرجع إلى أصول إسلامية قائم على مبدأ الكتاب والسنة المطهرة، فالمستشرقون في العصر الحديث، أرادوا أن يجدوا للتصوف أصلاً غير عربي وغير إسلامي، فربطوه بتقليد الرهبان المسيحيين في لبن الصوف، غير أن هؤلاء المستشرقين في مجال الإسلام ينظروا إليه مع نزعة الروحية الإنسانية نظرة سطحية مغرضة وعنصرية لا ترتجي أن تصدق في تحليلها للقيم الروحية، صدق نظرتها إلى القيم المسيحية واليهودية<sup>(1)</sup>.

كما نظر بعض الباحثين إلى أن التصوف عبارة عن ظواهر دينية واجتماعية، وذلك منذ القرن التاسع عشر الميلادي، كما أنه في مطلع هذه الحقبة الزمنية أثار التصوف اهتمام المستشرقين وعلماء التاريخ وعلماء مقارنة الأديان، وعلماء الاجتماع، وعلماء كل من الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وعلم النفس فتصدى كل بمنهجه لدراسته على أساس أنه ظاهرة من الظواهر الاجتماعية أو النفسية، أو الدينية؛ وليس علماً له أصوله ومناهجه، وخصوصيته المعرفية<sup>(2)</sup>.

ومن منظور التحليل الأيديولوجي للتصوف فقد تضاربت الرؤى من باحث لآخر وذلك حسب معطيات فكره ومقياسه للتصوف، فهذا حسين مروة يرى أنه ليس للتصوف قطاعاً هامشياً بل هو ظاهرة اجتماعية إيديولوجية، اتضحت معالمها في الظروف التاريخية الصعبة التي مرت بها الأمة الإسلامية العربية، ولم يكن تعبيره هدفاً تاريخياً ولا فلسفياً معروفاً، وإنما إيديولوجياً محكوماً بمبدأ الانعكاس<sup>(3)</sup>. وعلى أساس هذا المبدأ انتقد حسين مروة بقية المواقف والمناهج التي اعتمدت بدراسة التصوف:

أ- انتقد المنهج الذي يعتبر التصوف ظاهرة دينية عالمية دون مراعاة لخصوصياتها الإيديولوجية.  
ب- انتقد الموقف الذي يرجع التصوف إلى مصدر الوحي الإسلامي دون ربطه بأرضيته الاجتماعية والسياسية.

1- محمد زتاني: فلسفة اللامعقول في الخطاب الصوفي ابن عربي نموذجاً، إصدارات إي-كتب، لندن، ط:1؛ 2017م، ص16.

2- انظر/ المرجع نفسه، ص23. بتصرف

3- انظر/ المرجع نفسه، ص24. بتصرف

ج- انتقد منهج التحليل النفسي الذي يعتبر التصوف ظاهرة مرضية.

د- انتقد المنهج الوضعي الذي يعتبر التصوف مجرد وهم ميتافيزيقي<sup>(1)</sup>.

كما زعم آخرون بأن التصوف مذهب دخيل في الإسلام مأخوذ إما من رهبانية الشام وإما من أفلاطونية اليونان الجديدة، وإما من زرادشتية الفرس، وإما من قيادا الهنود<sup>(2)</sup>.

غير أن نيكولسون رفض هذا القول بأن التصوف دخيل في الإسلام، وأثبت كلامه بأننا نلاحظ منذ ظهور الإسلام أن الأنظار التي اختص بها متصوفة المسلمين نشأت في قلب الجماعة الإسلامية نفسها أثناء عكوف المسلمين على تلاوة القرآن والحديث وتقرئتهما، وتأثرت بما أصاب هذه الجماعة من أحداث وما حل بالأفراد من نوازل. على أنه إذا كانت مادة التصوف إسلامية عربية خالصة فمما لا يخلو من فائدة أن نتعرف على المحسنات الأجنبية التي أدخلت عليه ونمت في كنفه<sup>(3)</sup>.

ورغم ما قيل في تأويل التصوف وعلومه، بيد أن الحقيقة في علم التصوف أنه علم أخذته دلالاته من الكتاب والسنة، واستمد منهجه من حركة النبي وأصحابه في الأمر والنهي في تفعيل الحياة، وإن لم يكن التصوف مشهور في زمن النبي وأصحابه كتسمية غير أن دلالاته موجودة، ومن أجل ذلك أرسى له صلى النبي صلى الله عليه وسلم معالم متينة لتنمية الروح الإيمانية للفرد ليباهي الله تعالى بهم ملائكته، كما أخذت حركة التصوف السير إظهارها تدريجياً وصولاً إلينا مروراً من الإمام الحسن البصري رضي الله عنه (110هـ) وعبد الواحد بن زيد (177هـ) وإبراهيم بن أدهم (251) إل سيد الطائفة الجنيد (297هـ) بدأ تقوي أساسات التصوف شيئاً فشيئاً<sup>(4)</sup>.

ومن الحجج على أن التصوف مأخوذ من الكتاب والسنة يقول الجنيد "الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول صل الله عليه وسلم واتبع سنته، ولزم طريقته

1- المرجع السابق، ص 24، 25.

2- انظر/ ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق: التصوف، دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة، بيروت، ط: 1؛ 1984م، ص 48.

3- انظر/ المرجع نفسه، ص 48

4- سورة فصلت الآية 42.

فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه"<sup>(1)</sup>، وقال أيضاً: "علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، ومن لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، ولم يتفقه لا يُقْتَدَى به"<sup>(2)</sup>.

وتثميناً لذلك فعن علي بن أبي أطالب كرم الله وجهه قال: ((سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله وسنته فقال: إن المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشرف مركبي وذكر الله أنيسي والثقة بالله كنزي والعلم سلاحني والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والطاعة لله حسبي والجهاد في سبيل الله خلقي وقرّة عيني في الصلاة.)) "

### ❖ المبحث الثاني: واقع التصوف وجهوده في التنمية الروحية.

#### ● المطلب الأول: دلالة التنمية الروحية ضمن الخطاب الصوفي.

لقد ظل الخطاب الصوفي فضاء ديني ومعرفي ثقافي يشمل كافة معطيات التنمية الروحية للفرد المسلم، وذلك بتوجيهه وترشيده إلى الصواب، وعليه فقد بات القرآن الكريم المظلة الدائمة والحافظة لمبادئ التنمية الإيمانية والفكرية الرشيدة ومدلولاتها، لذا فإن المتأمل في آيات القرآن العظيم ليجد في مضمونها صور عديدة من التنمية الإيمانية والروحية، كما أن الإسلام الحنيف يتسم بمميزات عدة أفردته عن بقية الشرائع الوضعية الأخرى كون مصدره رباني ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾<sup>(3)</sup>، ومنذ أن خلق الله تعالى الخلق وأرسى لهم معالم طريق الهداية، وأرسل لهم رسلاً مبشرين ومنذرين فاستمد التصوف دلالاته من القيم الإيمانية التي حث عليها القرآن الكريم، ولا زال القرآن الكريم الجامع الوحيد للقيم الروحية والتنمية الإيمانية للفرد المسلم الذي لا يطرأ عليه خلل ولا تحريف حفظاً من عند الله تعالى، قال عز من قائل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(4)</sup>، ومن دلالة التنمية الروحية والإيمانية في الإسلام نجده مجسداً في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

1- أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي: كتاب الفقيه والمتفقه، قام بتصحيحه والتعليق عليه إسماعيل الأنصاري، المكتبة العلمية، بيروت، مجلد1، ج1، ص150

2- الإمام الجنيد سيد الطائفتين، إعداد وتحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص150

3-

4- سورة الحجر الآية 9.

يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْسُرُكُمْ زَادَتْهُ هَلْدِيءٌ إِيْمَانًا فَمَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ (٢).

إن المتأمل في تاريخ التصوف الإسلامي ورجال منذ بعثة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ونزول الوحي الإلهي ليجد في واقعه ما يشيد معالم التنمية الروحية للفرد المسلم وما ينمي قيمه ويحسن طبائع سلوكه، كما أن أكثر رجال الدين ينادوا في مضمون خطاباتهم الدعوية والشرعية.

ومن دلالة التنمية الروحية في الخطاب الصوفي خطب رجال التصوف التي تلقى في المحافل والمناسبات والمواسم الدينية والاجتماعية، وكان نموذجاً لهذه الخطب الموجهة كلمة الشيخ سيدي محمد العيد التجاني التماسيني بدعوة محبيه وأتباع الطريقة التجانية في أكل أصقاع المعمورة الترابية الجزائرية وبوادي سوف خاصة في مناسبات دينية واجتماعية وهو يحث إلى التمسك بكل القيم الإسلامية وبمقومات الأمة الإسلامية وعلى رأس أمرها العناية المشددة بالقرآن الكريم حفظاً وتلاوةً وتجويداً ثم التركيز على السنة المطهرة والعمل بهما، بغية تحقيق التقدم الحضاري بصبغة إسلامية يتخلل جوها نسمات روحانية من وحي القرآن واتباع السنة المطهرة (٣).

#### ● المطلب الثاني: واقع التصوف بوادي سوف وأبعاده الاجتماعية.

تشهد مدينة الوادي في الآونة الأخيرة حركة علمية واسعة، ويرجع ذلك إلى تعدد صلاحيات الحركة الصوفية على أرجائها، وبفضل الله ثم بفضل رجالها القائمون على إقامة هيكلية التنمية العلمية للفرد بدافع التنمية الروحية والإيمانية له، وجراء ذلك ازدهرت حركة التصوف بالمدينة وأصبحت شعاع خير مستقطب من كل الجهات، حيث عمل رجال التصوف على مزاجية الحياة المادية بالحياة الروحية بغية التفاعل الإيجابي لروح العصر وفق ضوابط قرآنية وسنن نبوية محكمة.

كما تعد مدينة وادي سوف مدينة العلم والعلماء وذلك لاتساع دائرة العلم فيها، "كما تشتهر مدينة الوادي بعلمائها الأجلاء في عدة تخصصات، وخاصة في الفقه والحديث

1- سورة الأنفال الآية 02.

2- سورة التوبة الآية 124.

3- انظر رسائل الشيخ سيدي محمد العيد التجاني التي يلقيها على مردي الطريقة التجانية أثناء الزيارة السنوية في تماسين.

والسنة كما أنها تحتضن عدة زوايا مختصة في حفظ القرآن الكريم والبحث العلمي منها زاوية سيدي سالم الموجودة بقلب المدينة والتي يرجع تأسيسها إلى قرون عدة وهي مرتبطة بالزاوية الرحمانية الموجود مقرها بالشمال الجزائري، كما أن الزاوية القادرية وهي أعرق الطرق الصوفية في الصحراء لها امتدادها التاريخي والديني والعلمي بوادي سوف، ولا زالت تحيي الحفلات الدينية كالمولد النبوي الشريف ويقام من خلال نشاطاته أيام دراسية حول التصوف والعلماء الطريقين الذين عرفتهم المدينة.<sup>(1)</sup>

ومن زاوية أخرى لقد تضافرت جهود علماء التصوف من الزاوية التجانية بالوادي وتحت إشراف الخليفة الشيخ سيدي محمد العيد التجاني وبالتعاون مع مريدي الزاوية التجانية المعمورة بالوادي على تنشيط حملة علمية مكثفة على المستوى العلمي والثقافي والديني والاجتماعي وذلك من أجل النهوض بالأمة والتحاقها بالركب الحضاري المشهود، فعلى المستوى الثقافي قامت الزاوية التجانية بتناسين بالتنسيق مع زاوية قمار في تفعيل حركة الحياة العلمية والثقافية بالوادي من إنشاء مراكز ثقافية كمركز قمار الثقافي، وإقامة المدارس القرآنية وإنشاء المكتبات للمطالعة والمعرفة، كما "نسجل أنّ الأستاذ الدكتور الشيخ سيدي محمد العيد التجاني رضي الله عنه يقود نهضة في منطقة سُوف، ومنطلقها الزاوية التجانية بقمار، الذي أقام بها مركبًا ثقافيًا حديثًا. تحفة معمارية على الطراز العربي الإسلامي تضم مجموعة من الأجنحة، كالمكتبة، وقاعة الأنترنت، وجناح تعليم القرآن الكريم، وجناح المعرفة مخصص للمحاضرات. وما فتىء الخليفة الشيخ سيدي محمد العيد الثالث - أيده الله - يحضّ الشباب على نهل العلم وحصد الشهادات الجامعية والبحث الجاد، ولقد أقام الندوات الثقافية الصيفية لإحداث اللحمة بين الشباب، وبثّ روح العلم والعمل فيهم، ليصوغ من هاته الطاقة الحيّة للأمة عناصر تمتاز بحسن الخلق ومتانة التدبّر، مفيدة للعباد والبلاد"<sup>(2)</sup>،

---

1- ناجي: الوادي.. حضارة صحراوية وسياحة شتوية، موقع جزائرس، تاريخ الإضافة: 2013/12/01م، تاريخ التصفح:

2019/01/27م، رابط الموضوع: <https://www.djazairss.com/alahrar/114057>

2- الزاوية التجانية بقمار - الجزائر، موقع الطريقة التجانية، تاريخ التصفح: 2019/01/27م، رابط الموضوع:

<http://www.tidjania.fr/zawaya-tidjania-international/394-agmare>

كما عملت على إقامة المؤتمرات والندوات العلمية، وفي الآونة الأخيرة جاءت الجامعة الشتوية كتعبير عن التقدم الحضاري الصوفي<sup>(1)</sup>.

وعلى المستوي الاجتماعي قامت الزاوية التجانية على تماسك وحدة المجتمع، وربط شرائحه بروابط القيم الإيمانية من تسامح وعفو ومحبة وإحسان وتعاون وتآزر، لمشاهدة تنمية علمية شاملة، ولا يتأتى ذلك إلا بتصفية القلوب وشد أواصر العلاقات الاجتماعية، وفي هذا المضمار قام كل من المقدم سيدي العيد بن يامة وابنه المرحوم الشيخ أحمد على حل الخلافات والنزعات بين الناس وإصلاح ذات البين منطلقاً من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذلك كان مرجعاً في حل المشاكل الاجتماعية والخلافات والنزعات عند بعض الناس<sup>(2)</sup>.

### ● المطلب الثالث: قيم التصوف في ترسيخ مبدأ التعايش الاجتماعي ومظاهر التنمية الصوفية.

شهد التصوف الإسلامي بالوادي جملة من القيم الروحية التي تعمل على تنمية روح الإيمان لدى الفرد المسلم، ومن هذه القيم:

#### 1- العفو والتسامح:

يعد مبدأ التسامح والعفو أحد السمات الأساسية للتصوف وأعلامه، ودعامة كبيرة ومهمة لشد أواصر العلاقات الاجتماعية بين الناس، وذلك تجسيدا لقوله تعالى: ﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(3)</sup> وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنْ بُدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعَفُّوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾<sup>(4)</sup>، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَيُصَفِّحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ ﴾

1- الجامعة الشتوية للزاوية التجانية : هضبة التصوف ستظهر نضاعة الإسلام، موقع جنوب كُم تاريخ التصوف: 2019/01/27م، رابط الموضوع: <https://www.djanoub.com>. وانظر/ موقع نفعات 7، رابط الموضوع: <http://www.nafahat7.net>

2- انظر/ السعيد ديدي: ترجمة المقدم الكبير سيدي العيد بن يامة التجاني الجزء الأول، منتدى شباب الطريقة التجانية، تاريخ التصوف: 2019/01/27م، رابط الموضوع: <http://ayoub2008.yoo7.com/t511-topic>.

3- سورة الأعراف الآية 199.

4- سورة النساء الآية 149.

وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾، كما أن للخطاب الصوفي أثر كبير وباع طويل في تحقيق هذا المبدأ عن طريق النصح والتوجيه والإرشاد، لذا كان العفو والتسامح من أهم أهداف وأسس التصوف، وكذلك اعتنى التصوف وأعلامه بالسعي الجاد وراء الوحدة الوطنية والأخوية ولم الشمل لخدمة الأمة المسلمة والعباد والبلاد وسد الذرائع عن الفساد ونبد العنف والحقد، والتحريض على مبدأ التسامح والإخاء والمحبة باعتبار الرجل الصوفي ضمن رجال رسل المحبة والسلام والإحسان. (2)

### 2- إصلاح ذات البين لم الشمل:

فمن قيم التعايش الاجتماعي ضمن التراث الصوفي إصلاح ذات البين ولم الشمل تجسيدا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (3)، وضمن هذا المبدأ سار عليه رجال التصوف يجسدون قيم العفو والتسامح لتنمية الروابط فيما بينهم، والشاهد التاريخي يشهد لأعلام الزاوية التجانية بالبياضة في هذا المجال، ومن أعلام ذلك المقدم سيدي العيد بن يامة، وابنه الشيخ أحمد رضي الله عنهما ولهما باع طويل في هذا المنحى، ويد طولى في لم الشمل والوحدة بين الناس وحل الخصومات والنزعات (4).

### 3- التعاون والتآزر:

تعتبر قيمة التعاون والتآزر في التراث الصوفي من أجل مبادئ الأخوة في الإسلام بدليل قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (5)، لذا حظي التصوف الإسلامي بعدة قيم إنسانية ميزته عن بقية الحركات الإسلامية الأخرى، مما يؤكد على شمولية التصوف وعالميته، فالحق سبحانه وتعالى شدّ أواصر العلاقات الاجتماعية بقيم إسلامية، وربطها بموكب الإيمان وعزة الإسلام، ومن أجل ذلك

1- سورة النور الآية 22.

2- انظر/كلمة الشيخ محمد العيد التجاني في الزيارة الموسمية لمريد الطريقة التجانية بوادي سوف إلى الزاوية التجانية بتماسين 2018م، قناة آفاق، تاريخ التصفح: 2019/01/26 م، رابط الموضوع:

<https://www.youtube.com/watch?v=RcNe371D0D0>

3- سورة الحجرات الآية 10.

4- انظر/السعيد ديدني: علم سوف الشيخ أحمد التجاني، دن، د.ط، 1427هـ/2006م، ص5.

5- سورة المائدة الآية 02.



حث عليها الله تعالى في أكثر من موضع وآية، ورتب عليه أجرا كبيرا في الدنيا والآخرة، لذلك سلك المتصوفة هذا المسلك.

#### 4- الإخاء والمحبة والإحسان:

ومن قيم التعايش الاجتماعي ضمن التراث الصوفي الإخاء والمحبة والإحسان، ويعد هذا الأخير من أهم الركائز التي قام عليها المنهج الصوفي، لذا اعتنوا رجال التصوف بهذا المبدأ تجسيدا لقوله صلى الله عليه وسلم: « مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.»<sup>(1)</sup>، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا.»<sup>(2)</sup> ومن قيمة وشأن المحبة يقول ابن القيم: "فلو بطلت مسالة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان. ولتعطلت منازل السير إلى الله فإنها روح كل مقام ومنزلة وعمل. فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه."<sup>(3)</sup>

#### - مظاهر التنمية الصوفية الحضرية:

لقد تعددت صور ومظاهر التنمية الصوفية بالزاوية التجانية بالوادي من مجال لآخر، ومن صور ومظاهر التنمية الصوفية الحضرية لمواكبة التفاعل الإيجابي لروح العصر خدمة الشيخ سيدي محمد العيد التجاني وأنجازاته في إطار التنمية الروحية وخدمة البلاد والعباد تجسيدا للمقولة (بسير زمانك سر) ومن مظاهر هذا التفاعل للشيخ:

1- التجديد العمراني في بناء الزاوية التجانية بتماسين وقمار.

2- إنشاء المركب الثقافي والصرح العلمي بالزاوية التجانية بتماسين وقمار ويضم:

أ- المكتبة العصرية التي تحوي آلاف الكتب والمجلات في كافة التخصصات.

ب- قاعة المطالعة والانترنت خاصة بالذكور والإناث.

3- بناء المدرسة القرآنية بتماسين وقمار.

4- عقد مؤتمرات ومنتديات ذات طابع ثقافي وفني وعمراني وفلاحي.

1- رواه مسلم في صحيحه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، دار الحديث، القاهرة، ط: 1، 1412هـ/1991م، ج4، رقم الحديث: 2586، ص1999، 2000.

2- المرجع نفسه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج4، رقم الحديث: 2585، ص1999.

3- مروان إبراهيم القيسي: الطريق إلى الحب (رسالة في التصوف)، كتاب-ناشرون، بيروت، ص81.

5- المشاركة الفعالة في الملتقيات الوطنية والدولية للطريقة التجانية.

6- تنظيم الجامعة الصيفية بالزاوية التجانية بالوادي لتنشيط الحركة العلمية لدى الشباب عن طريق الندوات والمحاضرات من أجل ترسيخ المبادئ الدينية والقيم الروحية والثوابت الوطنية<sup>(1)</sup>.

#### الخاتمة:

ومن خلال ما تم التطرق إليه نخلص إلى أن التصوف الإسلامي هو الحافظ الأمين للهوية الدينية والقيم الروحية والإيمانية في الإسلام، كما يعد التصوف ثالث أركان الإسلام ألا وهو مقام الإحسان، ولقد عمل التصوف على تهذيب النفس وتزكيتها وتمتين الروابط وشد أواصر العلاقات الاجتماعية الحميدة بين الناس من خلال الامتثال في الأمر والنهي للشارع الحكيم، كما قال الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه عن التصوف: "التصوف امتثال الأمر واجتناب النهي في الظاهر والباطن من حيث يرضى لا من حيث ترضى."<sup>(2)</sup>

لقد ساهم التصوف من خلال مبادئه السمحة إحياء روح العلم والمعرفة والثقافة في النفس البشرية المسلمة لإيقاظ همم الناس لمواكبة فلسفة الحياة الحضرية وفق ضوابط القرآن والسنة والالتحاق بالركب الحضاري المشهود، ومن ذلك شهدت الحياة الصوفية بمدينة وادي سوف حركة علمية راقية ومنسجمة مع واقع التطور الحضاري الملحوظ، وذلك بفضل الله تعالى ثم بفضل رجال التنمية الروحية والبشرية من أعلام الطرق الصوفية، ومن ذلك فقد تعددت صلاحيات الحركة الصوفية في أكثر من مجال فلم تكن مقتصرة على الجوانب الدينية فحسب بل تعدت إلى تعميم مفهوم الدين وقيمه النبيلة في الاتجاهات السياسية والاقتصادية، وذلك بإقامة هيكلية تنموية علمية للفرد المسلم بدافع التنمية الروحية والإيمانية له، وجراء ذلك ازدهرت حركة التصوف بالمدينة وأصبحت شعاع خير مستقطب من كل الجهات، وفي هذا المضمار عمل رجال التصوف فيها على مزاجية الحياة المادية بالحياة الروحية بغية التفاعل الإيجابي لروح العصر وفق ضوابط قرآنية وسنن نبوية محكمة.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأمي الطاهر الزكي وآله وصحبه أجمعين.

1- مطوية بعنوان كلمة تعريفية بالطريقة التجانية-الملتقى الدولي للطريقة التجانية الخطاب الصوفي التجاني زمن العولمة علم-عمل-عبادة، بتاريخ 1429هـ/2008م

2- علي حرازم بن علي برادة: جواهر المعاني وبلوغ الأماني، المطبعة العصرية، بيروت، ط:1؛ 2004م، ص194.